٣ ـ تركيـا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

مؤتمر برلين ١٨٧٨

لا أستطيع أن أتحدث عن تركيا دون أن أشير إلى أهمية مؤتمر برلين وأثره فى تاريخ تركيا وفى السياسة الدولية العالمية فإن هذا المؤتمر يعتبر مفترق الطرق فى السياسة الأوربية الحديثة بل وفى السياسة العالمية

وقبل أن أتحدث عن هذا المؤتمر يحسن بى أن أصف الظروف الدولية التى أدت إلى انعقاده

فى ١٨٧٥ قامت الثورة ضد الحكم التركى ومظالمه فى ولايتى البوسنة والهرسك ، وسرعان ما اشتعلت نيران الثورة فى جميع أنحاء البلقان فى بلغاريا وفى الصرب وفى الجبل الأسود وفى رومانيا ، وقام القتال بين الأتراك وبين شعوب البلقان

وإذا عطست شعوب البلقان اضطربت أوربا فإن شبه الجزيرة هذه تعتبر مخزن البارود فى أوربا ، ولذا سرعان ماتدخلت الدول : تقدم المكونت أندراس وزير النمسا باقتراحات لإنهاء الثورة قبلها السلطان ورفضها الثوار ، وعقدت الدول مؤتمر القسطنطينية ١٨٧٧ لحل الشكلة ، ولكن السلطان فاجأ الدول فأعلن الدستور وبمقتضاه أصبح أمر الحكم متروكا للشعوب ، وأعلن أن الدول بمقتضى معاهدة باريس ١٨٥٦ لا يحق لها أن تتدخل فى شؤون تركيا الداخلية ، وانفض المؤتمر ولكن الثورة زادت اشتعالا

وأخيرا جاءت الروسيا لمساعدة شعوب البلقان ولتحقيق مآربها ، فأعلنت الحرب على تركيا ١٨٧٧ وتقدمت جيوشها حتى وقفت على أبواب القسطنطينية فى يناير ١٨٧٨ ، وحينئذ طلب السلطان الصلح وأمرت إنجلترا أسطولها فى الوقت نفسه بالتقدم إلى مياه القسطنطينية ويضرب الروس إذا حدثتهم أنفسهم بدخول القسطنطينية

وأمام الهزيمة اضطر السلطان أن يقبل ما عرضته عليه روسيا وأن يوقع معاهدة سان ستفانو فى مارس ١٨٧٨ وبمقتضى هذه المعاهدة تقرر أن تستقل رومانيا والصرب والجبل الأسود استقلالا تاما وأن تمنح البوسنة والهرسك استقلالا إداريا وأن تأخذ الروسيا باطوم وقارص وإردن وأن تنشأ بلغاريا العظمى التى كانت حدودها تمتد من البحر الأسود إلى بحر إيجة ومنه إلى البحر الأبيض . وكان مفروضا أن بلغاريا العظمى هذه ستقع تحت حماية روسيا وبذلك يتحقق الحلم الروسى وهو الوصول إلى البحر الأبيض

لكن الدول وخاصة إنجلترا ثارت ضد هذه المعاهدة التى تضع البلقان تحت حماية روسيا وطلبت عرض المعاهدة على مؤتمر يعرض فى برلين

وقد اجتمع هذا المؤتمر فى برلين فى يوليو ١٨٧٨ تحت رئاسة بسمارك منشئ ألمانيا الحديثة ورئيس وزرائها إذ ذاك وكبير دهاة الساسة وقطب السياسة الدولية حتى إن الفترة من ١٨٧٠ — ١٨٩٠ تسمى بعصر بسمارك . وقد عبر بسمارك عن السياسة التى انتهجها بقوله (لقد كنت سمسارا شريفا) . صحيح أن ألمانيا لم تأخذ لنفسها شيئا ولكنها أعطت ومنعت وأرضت وأغضبت فأثارت الشحناء والبغضاء وأقامت العداقات مما جعل هذا المؤتمر يحق مفترق الطرق فى السياسة الدولية

أخذت النمسا البوسنة والهرسك فرضيت وتوطدت صداقتها مع ألمانيا لأن امتداد النمساوى كان أغلى من الدم الروسى ، وغضبت الروسيا وكان ذلك تمهيدا لانسحابها من تحالفها مع النمسا وألمانيا وقيام التحالف بينها وبين فرنسا ثم إنجلترا فيما بعد

وأما إنجلترا فقد حققت ما كانت ترنو إليه إذ قضى المؤتمر على بلغاريا العظمى فأعيدت مقدونيا إلى تركيا وبذلك حرمت بلغاريا من شواطئ على بحر إيجة والبحر الأبيض ، وجعلت بلغاريا الحقيقية إمارة مستقلة استقلالا داخليا وجعل الروملى الشرقى إمارة يحكمها وال مسيحى فوافق السلطان على تعيينه . وأخذت إنجلترا جزيرة قبرص ورضيت وعاد رئيس وزرائها دزرائيلى إلى بلاده يقول (لقد حققت السلام وجئت بصلح مشرف)

وجدير بى أن أذكر أنه فى ذلك التاريخ لم يكن هناك مايدعو إنجلترا إلى أن تعادى ألمانيا ، ولكن ظهور مطامع ألمانيا

الاستعمارية فيما بعد هو الذى أدى إلى قيام العداء بينهما ، وهو الذى محا العداوة التقليدية بين فرنسا وإنجلترا وأدى إلى قيام الصداقة بينهما ، تلك الصداقة التى تجلت فى وقوف جيوشهما جنبا إلى جنب فى الحربين العالميتين الأولى والثانية

وأما فرنسا فقد كانت جريحة كسيرة إثر هزيمتها فى حرب السبعين وانتصار ألمانيا عليها واحتلالها لبلادها ، ولذلك لم يكن لها نصيب يذكر فقد كان المؤتمر تحت رئاسة بسمارك عدوها الأكبر

وقد كان بسمارك يعمل دائما على عزلة فرنسا ويحاول جاهدا ألا تجد لنفسها أصدقاء ؛ وكان يؤمن بأن فرنسا لن تجرؤ على الوقوف فى وجه ألمانيا طالما كانت وحيدة لا حليف لها

على أن سخط روسيا على ألمانيا بسبب موقفها منها فى المؤتمر كان الدافع الأول إلى أن تمد روسيا يدها إلى فرنسا ١٨٩٣ وقد انضمت إليهما إنجلترا ١٩٠٧

وأما إيطاليا فقد غضبت لأن فرنسا استولت على تونس ١٨٨٢ وكانت إيطاليا تطمع فيها وبذلك انضمت إيطاليا إلى ألمانيا والنمسا ، وهكذا انقسمت أوربا إلى معسكرين : إنجلترا وفرنسا والروسيا فى جانب ، وألمانيا والنمسا وإيطاليا فى جانب آخر

والصرب غضبت لأن النمسا انتزعت منها ولايتى البوسنة والهرسك وهى تعتبرها جزءا منها وبذلك انضمت إلى جانب فرنسا والروسيا وإنجلترا ، ولقد كان اغتيال طالبين صربيين لولى عهد النمسا فى ٢٨ يونية ١٩٠٤ سبب قيام الحرب العالمية الأولى

وتركيا غضبت على أصدقائها لأن هؤلاء الأصدقاء كانوا فى الواقع أعداء ، وكانت مصالحهم سبب صداقتهم ، وكان أهم هؤلاء الأصدقاء إنجلترا وفرنسا . أما إنجلترا فقد أخذت قبرص ١٨٧٨ واحتلت مصر ١٨٨٢ ، وأما فرنسا فقد استولت على تونس ١٨٨٢

وكان مسلك إنجلترا وفرنسا هذا سببا فى إغضاب تركيا مما دفعها إلى أن تتجه شطر ألمانيا ، وكانت ألمانيا قد بدأت تغير من سياستها وتعمل على اتخاذ مناطق نفوذ لها فرحبت بصداقة تركيا وعملت على مد يد المعونة إليها وشرعت فى ربط تركيا بألمانيا وإنشاء سكة حديد برلين — بغداد مما أثار مخاوف إنجلترا

وقد وقفت تركيا بجانب ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ، أما إيطاليا فبرغم أنها كانت حليفة لألمانيا وقفت على الحياد فى أول الحرب ، حتى إذا تجلى لها أن كفة الحلفاء (إنجلترا وفرنسا) راجحة نكثت بعهدها ونقضت سابق تحالفها وانضمت إلى الحلفاء ١٩١٥

وقد بذل الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٨ جهودا جبارة فى الدفاع عن بلادهم وأنزلوا بالإنجليز خسائر فادحة فى موقعة غاليبولى ١٩١٦ وردوهم عن بلادهم ، وكذلك قضوا على عدة حملات بعثت بها إنجلترا إلى العراق ، ولكن تلك الجهود لم تؤثر فى نتيجة الحرب فسرعان ما سقطت العراق وفشلت حملة فلسطين ومصر وتقدم الجنرال ألنبى فاحتل فلسطين ١٩١٧ وتقدمت قواته فاحتلت سوريا ١٩١٨ وساءت حالة تركيا فاضطرت إلى قبول الهدنة فى ٣١ أكتوبر ١٩١٨ ، واحتلت إنجلترا القسطنطينية وقلاع الدردنيل والمواقع الحربية الهامة ، ونزل الفرنسيون والسنغاليون باستنبول واحتل الإيطاليون (بيرا) وخطوط السكك الحديدية . وهكذا أصبحت تركيا تحت سيطرة الحلفاء

وفى ١٠ أغسطس ١٩٢٠ أرغم مندوبو حكومة الآستانة على توقيع معاهدة سيفر وبها فقدت تركيا العراق ومصر وبلاد العرب وفلسطين وسوريا وتراقيا فى أوربا

وهكذا كانت معاهدة برلين ١٨٧٨ معاهدة انحلال الإمبراطورية العثمانية فى أوربا ، وكانت معاهدة سيفر معاهدة انحلال الإمبراطورية العثمانية فى آسيا وإفريقيا

بل أكثر من هذا لقد أصبحت تركيا ذاتها موضع إذلال محتليها وكانت الشعوب الصغيرة التى طالما خضعت لحكمها تطمع فى تقسيمها والاستيلاء على أراضيها . أما كيف تخلصت تركيا من مشاعبها وكيف انتصرت على قاهريها فذلك ما سنفصله فى حديث قادم إن شاء الله

أنور الفتوح عطيفة